

## تقرير

خليل حرب  
khalilharb66@gmail.comشعار حرية التجارة: عندما تبدّل المصالح عبر التاريخ  
بين معركة هواوي وحروب الأفيون

معركة هواوي، اذا صح التعبير، ليست الحرب الاولى بين الصين والعالم الغربي، وربما لن تكون الاخيرة. كما انها، رغم خطورتها واهميتها، ليست الاكثر بشاعة. للصين حكايات قديمة تروى ولا يعرفها كثيرون، علما انها تكشف عن جوانب سود في علاقات الامم، والدول الكبرى مع المستعمرات. هواوي، بهذا المعنى، تفصيل اضافي في الصراع التاريخي على الاسواق

تحتدم السجلات حول هواوي، الشركة الصينية التي تعد العالم بما لم يعهده من قبل في تكنولوجيا الهواتف. تنتصب ادارة الرئيس الاميركي دونالد ترامب في وجهها: ممنوع!

يعيدك التاريخ الى الورا، الى تناقضات المصالح وجشع الدول، كأنها هناك من يقول ان على الصين ان تبقى مستهلكة. نفضلها كسوق كبيرة لبضائعنا، اما ان تصبح هي الصانعة، وهي المصدر، وهي المنتجة والمهيمنة، فهذا ما لا تقبله واشنطن ولا يمكنها التعايش معه، منذ ان شعرت قبل ثلاثة عقود ان العالم صار طيعا بين يديها، كقوة عظمى وحيدة، تحكم وتتاجر وتحتكر.

هواوي تعني في مكان ما ان ذلك بدأ يتغير. فالمهين والمسيطر والمحتكر لا يمكنه ان يرضى بسهولة، انكسار سطوته.

تعيدنا هذه المفارقة الى زمن ليس بعيدا، قبل اقل من قرن، عندما فرضت على الصين ما سمي حروب الأفيون. في اختصار، كانت الصين تقاوم الأفيون الذي خدر شعبها، وكانت بريطانيا،

القوة الاستعمارية الاكبر وقتها، تفرضه فرضا على الصينيين وتجبرهم على ادمانه، بكل ما في الكلمة من معنى.

هكذا بكل بساطة. لان الميزان التجاري مع الصين لم يكن لصالح النظام الملكي البريطاني، ابتكرت الامبراطورية البريطانية وسيلة لتعويض الفارق. زرع الأفيون في مناطق الهند (الخاضعة بدورها للحكم البريطاني) والمتاجرة به في الاسواق البريطانية حتى لو كان الحكم الامبراطوري الصيني، يعارض ذلك ويحظره.

في حرب الأفيون الاولى، خاضتها بريطانيا لاجبار الصين على فتح اسواقها امام الأفيون. ارتكبت مجازر مروعة في حق الصينيين لمقاومتهم. في الاساس، لم تكن الصين راغبة في فتح اسواقها بالكامل امام البضائع البريطانية. الأفيون كان خدعة تجارية بريطانية لتقليص الفجوة في الميزان التجاري بينهما، واسترداد عملات الفضة التي كان يدفعها البريطانيون لشراء الشاي والحبر والبورسلان من التجار الصينيين. لا اكثر ولا اقل.

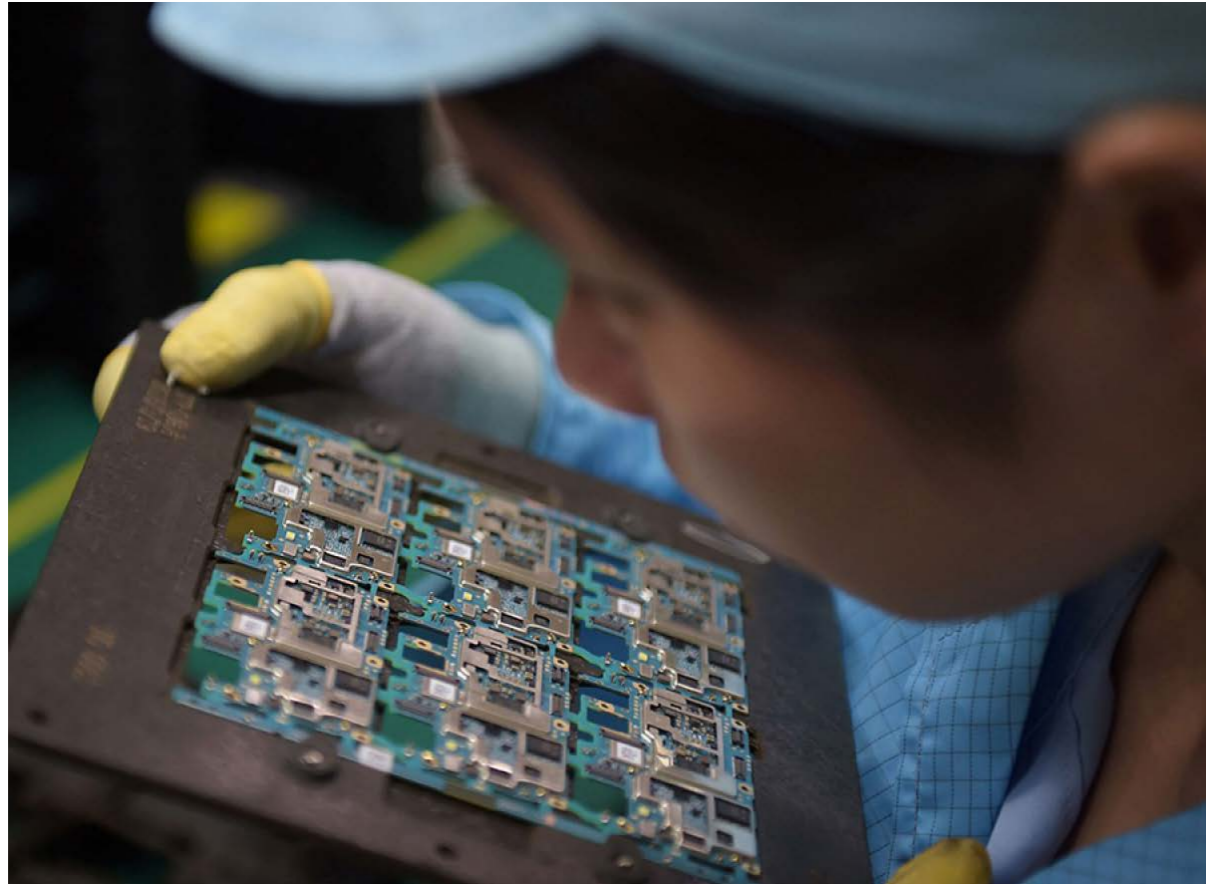
لكن النتيجة كانت مفجعة. عشرات ملايين الصينيين ادمنوا الأفيون بسبب سياسات شركة الهند الشرقية البريطانية التي اشرفت على تطبيق الخديعة التجارية، على الرغم من الحظر الذي فرضه الامبراطور الصيني يونغ تشينغ.

المفارقة العجيبة ان بريطانيا استخدمت وقتها ذريعة حرية التجارة لتحاول ان تفرض على الصين فتح اسواقها وموانئها امام البضائع البريطانية. اندلعت الحرب في العام 1840 واستمرت عامين، وانتهت بفرض اتفاقية تجارية جديدة على بكين لم تحقق من خلالها لندن كل مصالحها. حين حاولت تعديلها رفض الامبراطور، اندلعت حرب الأفيون الثانية في العام 1856. هذه المرة لم تذهب بريطانيا وحدها الى الحرب، اصطحبت معها الفرنسيين متذرة بتفتيش الصينيين لسفينة ترفع العلم البريطاني ومقتل مبشر فرنسي.

خضعت الصين مجددا. لكن ماذا كانت ابرز بنود الاتفاق الجديد؟ فتح 5 موانئ جديدة امام التجارة الدولية، وتحديد الأفيون كسلعة يسمح استيرادها، اضافة الى تسهيل دخول المسيحية الى الاراضي الصينية. دخلت الولايات المتحدة وروسيا الى جانب بريطانيا وفرنسا في التوقيع على الاتفاق الجديد مع الصين.

تحدث التقديرات عن اكثر من 100 مليون مدمن على الأفيون في ذلك الوقت. لم تضع حروب الأفيون اوزارها بشكل كامل حتى حلول العام 1911. ظل الادمان افة تعاني منها الصين حتى مجيء الزعيم الصيني ماو تسي تونغ.

قصة اخرى يجب ان تروى في سياق ما قبل حرب هواوي. في اواخر القرن التاسع عشر، ومن نتائج حروب الأفيون والتغلغل الغربي في حياة الصينيين واقتصادهم وثقافتهم الخاصة ومعتقداتهم الروحية، انفجرت احتجاجات دموية عرفت باسم ثورة البوكسر (الملاكين).



التفوق الصيني الاستثنائي في التكنولوجيا اثار هلع ادارة ترامب.

ملاكمو جمعية الحق والقضبات المتآلفة، نظموا في العام 1899 ما يشبه الانتفاضة الشعبية ضد الهيمنة الاجنبية على بلادهم في مقاطعات عدة، بما في ذلك بكين التي حاصروها. لكن الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان وروسيا والمانيا وايطاليا وفرنسا والنمسا - المجر، ارسلت جيوشها تحت شعار انقاذ الرعايا الاجانب وحماية المسيحيين والبعثات الديبلوماسية، وانتهى التدخل العسكري

بفرض عقوبات على الحكم الصيني وانتزاع تنازلات تجارية اقتصادية اضافية من الصينيين. تستعد هذه الوقائع التاريخية لمحاولة فهم اشمل لمعركة هواوي الحالية. الدول الكبرى وقتها

## موقف بكين

على الرغم من الهجمة الاميركية، منحت الصين في حزيران الماضي تراخيص تجارية لتشغيل شبكة الجيل الخامس لاربع شركات صينية مملوكة للدولة. تعليقا على ذلك، توقعت شركة هواوي، ان تقود شبكة G5 الصينية العالم قريبا. وعلق وزير الصناعة وتكنولوجيا المعلومات الصيني مياو وي على ذلك قائلا، انه بعد اصدار تراخيص G5، سنواصل دعوة الشركات الاجنبية الى المشاركة الفاعلة في سوق G5 الصينية، والسعي الى تطوير مشترك لشبكة الجيل الخامس الصينية وتشارك انجازات تطوير الشبكة. ابرمت هواوي 46 عقدا في 30 دولة حول العالم، لبناء شبكات اتصالات الجيل الخامس، وحدث هذه العقود الاتفاق الذي عقده مع شركة الاتصالات الروسية ام تي اس.

قال المتحدث باسم التجارة الصينية غاو فنغ ان بكين تعارض بشدة العقوبات الاميركية على كيانات صينية، مشيرا الى انها اكدت مرات عدة ان مفهوم الامن القومي يجب ان لا يساء استغلاله، وان لا يستخدم كاداة للحماية التجارية، مضيفا ان الصين ستتخذ كل الاجراءات الضرورية لحماية الحقوق المشروعة للشركات الصينية بكل حزم. لكن هواوي افادت من جهتها، نافية ان تكون منتجاتها تسبب تهديدا امنيا، انها مستعدة وراغبة في الحوار مع الحكومة الاميركية واتخاذ اجراءات فعالة لضمان امن المنتج. وتعبيرا عن ثققتها بتكنولوجياها، اعتبرت الشركة ان تقييد عملها في الولايات المتحدة لن يترك لاميركا سوى بدائل اقل جودة واعلى تكلفة مما يعني تخلفها عن الركب في نشر تكنولوجيا الجيل الخامس، وهو ما سيضر في نهاية المطاف مصالح الشركات والمستهلكين الاميركيين.

## روسيا والصين

عبر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن تضامنه مع الصين في خلافها التجاري مع الولايات المتحدة، مشيراً إلى أن التكتيكات العدائية الأميركية بإزاء هواوي، ستؤدي إلى حروب تجارية، وربما حروب حقيقية. وخلال المنتدى الاقتصادي الذي عقد في سان بطرسبرغ الروسية في حضور الرئيس الصيني شي جين بينغ، قال بوتين إن واشنطن تتصرف بانانية اقتصادية منفلتة. وأوضح أن "دولا كانت تروج سابقاً للتجارة الحرة والمنافسة الصادقة والمفتوحة بدأت تتحدث لغة حروب التجارة والعقوبات، لغة الاغارة الاقتصادية المفتوحة باستخدام تكتيكات لي الذراع والتخويف، لغة القضاء على المنافسين باستخدام ما يسمى بأساليب غير السوق.

انظروا على سبيل المثال إلى الوضع في ما يتعلق بهواوي التي لا يحاولون مزاحمتها فحسب، بل اخراجها بشكل غير رسمي من السوق العالمية. بدأت بعض الدوائر بالفعل تطلق عليها الحرب التكنولوجية الأولى للحقبة الرقمية البازغة". لكن الرئيس الصيني بدا أكثر تصالحاً في لهجته، إذ دعا القوى العالمية إلى حماية نظام التجارة العالمي، قائلاً إن "من الصعب تخيل قطيعة كاملة بين الولايات المتحدة والصين. لا نرغب في ذلك، وشركاؤنا الأميركيون غير راغبين فيه. الرئيس ترامب صديقي وأنا على ثقة بأنه لا يرغب في هذا".



الهواتف الخليوية صارت آفة شعوب الارض، والصين تقدم هذه السلعة الفريدة.



الرئيس الروسي عبر عن تضامنه مع الصين في خلافها التجاري مع الولايات المتحدة.

## الهجوم الاميركي

اعلنت وزارة التجارة الاميركية انها اضافت هواوي تكنولوجيا و70 شركة تابعة لها إلى ما يعرف باسم قائمة الكيانات الخاصة بها، في خطوة تمنع شركة الاتصالات الصينية العملاقة من الحصول على مكونات وتكنولوجيا من شركات اميركية من دون موافقة مسبقة من الحكومة. هذا القرار يطاول شركات تابعة لهواوي في كندا واليابان والبرازيل وبريطانيا وسنغافورة إلى جانب دول أخرى. وكان الرئيس الاميركي دونالد ترامب وقع امراً تنفيذياً يقضي بحظر استخدام الشركات الاميركية لمعدات الاتصالات التي تصنعها شركات يعتقد انها تمثل تهديداً للامن القومي. وقال وزير التجارة الاميركي ويلبور روس ان ترامب ايد القرار لمنع استخدام كيانات يملكها اجانب للتكنولوجيا الاميركية بطرق قد تقوض الامن القومي الاميركي او مصالح السياسة الخارجية.

استبقت واشنطن هذه الخطوة بحملة شنتها في العام

التي اشعلت حروباً باسم حرية التجارة ومن اجل فتح الاسواق الصينية، وفرض معادلات تجارية لصالحها في التعامل مع بكين. هل يختلف الحال الآن في ما يتعلق بهواوي؟ ربما ليس كثيراً. المهم، انه قبل ثورة البوكسر وخلال حروب الافيون، كانت ديبلوماسية جديدة ترسخ في العلاقات بين الصين والدول الكبرى، اسمها سياسة الابواب المفتوحة التي وللمفارقة، كان اول من طالب بها، الولايات المتحدة، ومنذ بدايات القرن التاسع عشر.

اطلقت المبادرة الاميركية رسمياً في العام 1899 من جانب وزير الخارجية الاميركية جون هاي، وتستند إلى فكرة ان لكل الدول حقوقاً

متساوية في التعامل مع الصين تجارياً. اساس المبادرة كان قائماً على فكرة الخشية من ان يؤدي التناحر، او الصراع التجاري بين الدول الكبرى على الاسواق الصينية، إلى شذمة مصالح هذه الدول وزعزعة وحدة الاراضي الصينية بين المتنافسين التجاريين. لهذا، فانها نصت على حق كل دولة في الحصول على فرص

واشنطن إلى ان هواوي كذبت على مكتب التحقيقات الفدرالي (اف بي اي) في العام 2007، حين اكدت انها لم تنتهك قوانين التصدير الاميركية، وانها لم تتعامل مباشرة مع اي شركة إيرانية، في تحايل على العقوبات الاميركية على طهران. واستكمالاً لهذه الهجمة، احتجزت كندا، بناء على طلب واشنطن، المديرية المالية لهاواوي مينغ وانزو، وهي الابنة الكبرى لمؤسسها رين شينغفي، في كانون الاول الماضي. وقال وزير الخارجية الاميركي مايك بومبيو في حزيران الماضي، ان بريطانيا التي تبحث اعتماد الجيل الخامس الصيني، في حاجة إلى تغيير نهجها المتبع مع الصين وهواوي. ووصف الصين، ثاني أكبر اقتصاد في العالم، بأنها تشكل تهديداً على الغرب مماثل لما شكله الاتحاد السوفياتي في السابق. وكاستجابة للضغط الاميركي، اعلنت شركة فايسبوك عن وقف امكان تحميل تطبيقاتها، ومنها واتساب

واستاغرام، على هواتف هواوي، بعد خطوة مماثلة من غوغل، بينما لن يؤثر القرار على اصحاب هواتف هواوي الحاليين سواء في استخدام تطبيقات فايسبوك او في تحميل تحديثاتها. وكانت غوغل اعلنت انها لن توفر نظام التشغيل اندرويد لهواتف هواوي بعد انتهاء المدة البالغة 90 يوماً التي منحتها الحكومة الاميركية، والتي تنتهي في شهر آب المقبل. لكن متجر التطبيقات بلاي Play، وجميع تطبيقات غوغل سوف تبقى متاحة لطرز الحالية من هواتف هواوي، بما في ذلك تلك التي لم تشحن بعد.

وذكرت صحيفة فايننشال تايمز، ان غوغل حذرت الادارة الاميركية من المضي قدماً في فرض حظر شامل على هواوي، كونه يعرض الامن القومي للخطر، موضحة ان غوغل تخشى من ان تطور هواوي اصداراً خاصاً بها من نظام التشغيل اندرويد منافساً لنظامها، وسيكون أكثر عرضة لخطر القرصنة.